٤- اتفاقية سايكس – بيكو:

لم يكن المستعمرون البريطانيون ينوون أبدأ تنفيذ التزاماتهم بتأسيس الدولة العربية المستقلة التي اتفقوا مع الشريف حسين عليها بموجب المراسلات الآنفة الذكر، وكان من أوضح أمثلة الريا، والخداع الملازمين للمستعمرين اجراء المفاوضات السرية حول اقتسام الأرض العربية بين بريطانيا وفرنسا. اذ لم يكد مكماهون ينجز اتفاقيته مع الشريف حسين حتى ابتدأت الخارجية البريطانية مباحثات سرية في لندن مع الحكومة الفرنسية هدفها التوفيق بين مطامع الدولتين في المشرق العربي.

بعد انتهاء المرحلة التمهيدية للمفاوضات أرسلت الحكومتان ممثلين عنها الى القاهرة للتشاور وكان ممثل فرنسا جورج بيكو بينما مثل مارك سايكس الحكومة البريطانية. ويعد مفاوضات توجه الاثنان الى بطرسبرج (سانت بطرسبرغ) حالياً لبحث مقترحاتهما مع حكومة روسيا القيصرية، وابتدأت المفاوضات هناك في آذار ١٩١٦م ونتج عنها تفاهم ثلاثي وتع في الشهر نفسه.

وبموجب هذا التفاهم خصصت روسيا لنفسها اسطنبول مع بضعة أميال في الداخل على جانبي البسفور وحصة كبيرة من شرق الاناضول تضم عملياً أربع ولايات كاملة تجار الحدود بين روسيا وتركيا، بينما احتفظت فرنسا لنفسها بالقسم الاعظم من سوريا وبحصة غير صغيرة من جنوب الاناضول وولاية الموصل في العراق.

أما حصة بريطانيا فكانت تتألف من شريط تد من اقصى جنوب سوريا عبر العراق حيث ينتشر كالمروجة ليشمل بغداد والبصرة وكل المنطقة الواقعة بين الخليج العربي والمنطقة المخصصة لفرنسا وهي تضم ايضا مينائي حيفا وعكا مع قطعة صغيرة من المنطقة الداخلية. وهنالك منطقة تضم قسماً من فلسطين استبقيت لتكون تحت حكم دولي خاص. بعد خروج روسا من الحرب في أواخر ١٩١٧م طبقت الاتفاقية التي عرفت باتفاقية سايكس بيكر على الأراضي العربية فقط. لقد كان هدف اتفاقية سايكس –بيكو الحيلولة دون قيام الوحدة العربية، وتكريس حالة التجزئة التي تعاني منها اليوم أمتنا العربية ما تعانيه. لقد كانت الاتفاقية تمثل ظلما فاضحاً لحق العرب وخيانة واضحة لهم فهي نقض للعهود التي،

مُنحت لهم في مراسلات حسين – مكماهون وليس أدل على سوء الاتفاقية الا سريتها، التي فضحها السوفييت بعد قيام ثورة أكتوبر سنة ١٩١٧م.

لم يكتف البريطانيون بكل هذا بل تآمروا مع الصهاينة على العرب فأصدروا وعد بلفور في ٢ تشرين الثاني ١٩١٧م. وقد وضع العرب عامة في موقف صعب من جراء هذا التآمر البريطاني الاستعماري على امانيهم وتطلعاتهم القومية في التحرر والاستقلال، إذ لم يكونوا على استعداد لإحلال استعمار أوربي –صهيوني شرس محل سيطرة عثمانية.

أراد الحلفاء ستر فضيحتهم فبدأوا بأطلاق التصريحات والوعود الكاذبة للعرب، فقد صرح الرئيس الأمريكي ولسن في ٤ كانون الأول ١٩١٧م بأن تقرير المصير سيمنح الشعوب الدولة العثمانية، وتكلم وزير خارجية فرنسا بمثل ذلك. اما بريطانيا فقد سارعت لأرسال رجل استخباراتها **(هوغارت)** الى الشريف حسين في اوائل كانون الثاني ١٩١٨م حيث أرسلت مذكرة أعلنت فيها بريطانيا أن الحلفاء ينوون منح العرب مكانة تستحق الذكر في العالم وتأسيس دولة لهم كما انكرت بريطانيا وفرنسا عقد اتفاقية سايكس–بيكو، ووصفوا عملية اماطة اللثام عنها مجرد تلفيق. إلا أن ذلك كله لم يطمئن العرب القوميين فألح زعماؤهم على بريطانيا بضرورة توضيح موقفها من أماني العرب في الاستقلال والوحدة، فأصدرت هذه بيانا عن سياستها في المشرق العربي في ١٦ حزيران عام ١٩١٨م، أي بعد أن أصبحت قاب قوسين أو أدنى من النصر، جزأت فيه الأراضي العربية الى ثلاثة أجزاء:

أ – الأراضي التي حررها العرب أنفسهم (أي الحجاز).

ب – الأراضي التي سيطرت عليها القوات البريطانية (أي جنوبي فلسطين وولايتي البصرة وبغداد).

ج – الأراضي التي مازالت تحت سيطرة العثمانيين (وهي سوريا ولبنان وولاية الموصل).

ووعدت بريطانيا أن تهتم باستقلال أراضي المجموعة الأولى وبتقرير مصير أراضي المجموعة الثانية وفق رغبات سكانها المحليين، والسعي الى تحرير أراضي المجموعة الثالثة. وبذلك رفضت بريطانيا ضمان وحدة واستقلال الأراضي العربية التي احتلتها لخشيتها من الوحدة العربية ومخاطرها على مصالحها الاستعمارية في وطننا العربي.

٥ – الثورة العربية ١٩١٦م:

كانت ثورة ١٩١٦م، هي الثورة الأولى في تاريخ العرب الحديث التي عبرت عن تطلعات الأمة العربية وطموحها المشروع نحو الوحدة والاستقلال.

ورغم نشل الثورة العربية في تحقيق اهدافها فأنها تبقى تلك الثورة التي رت عن أماني الشعب العربي ممثلاً بأحزابه وجمعياته التي قاومت سياسة الاتحاديين العثمانيين ومحاولاتهم اليائسة لطمس معالم الشخصية العربية وتراثها الاصيل وتظل الرائد الغزير لأثبات بذور تلك الثورة.

في العاشر من حزيران ١٩١٦م أطلقت رصاصة الثورة الأولى معلنة بدءها من أجل التحرير والوحدة، وقد ابتدأت المعارك بين الثوار العرب وخصومهم العثمانيين في الخامس عشر من حزيران قرب المدينة المنور.

ويمكن اجمال اسباب الثورة فيما يلي:

١ –المظالم التي الحقت بالشعب العربي نتيجة استبداد الحكام العثمانيين وبخاصة أعضاء جماعة الاتحاد والترقي الذين تولوا بعد انقلاب ١٩٠٨م وعزل السلطان عبد الحميد الثاني. حكمهم وحقدهم ومحاولاتهم المحمومة لطمس ثقافة العرب ولغتهم وترويجهم لسياسة التتريك والطورانية.

٢ –رغبة الثوار العرب في وسع اماني الشعب العربي في التحرر والاستقلال والوحدة العربية موضع التنفيذ بعد أن طال امد الاحتلال والتجزئة.

٣ –إرادت الثورة استعادة ما للعرب من حق مغتصب والعمل من أجل بناء الكيان السياسي العربي المستقل على الأرض العربية.

٤ –طموح الشريف حسين في قيادة الدولة العربية المستقلة وتجديد الخلاقة الإسلامية.

٥ – فتح جبهة جديدة ضد العثمانيين بقصد أضعافهم من جهة والتعاون مع كتلة الوفاق لما فيه صالح الامة العربية من جهة ثانية، فقد كانت الشريف حسين وأنجاله وبعض قادة

الحركة العربية آنذاك حسني النية بأهداف كتلة الوفاق وخاصة بريطانيا وذلك بحكم تكوينهم الاجتماعي وعدم إدراكهم للطبيعة الحقيقية للاستعمار.

أما الأسباب التي عجلت قيام الثورة وتقديمها لموعدها فهي:

أ –إعدام جمال باشا السفاح قادة الجمعيات العربية في دمشق وبيروت، فكانت هناك خشية شديدة من كشف العلاقة بين هؤلاء وقيادة الثورة الامر الذي يؤدي الى إجهاض الثورة قبل اندلاعها.

ب –أرسال العثمانيين قوة عسكرية الى المدينة المنورة لتعمل بالاتفاق مع بعثة ألمانية لدعم سلطة العثمانيين في الركن الجنوبي الغربي من شبه جزيرة العرب، وقد خشي الشريف حسين من قيام تلك القوة بالزحف على مكة المكرمة لعزله والتخلص منه قبل إعلان الثورة.

ج –وصول فخري باشا وكيل قائد الجيش العثماني الرابع الى المدينة المنورة لتولي القيادة العسكرية هناك بأمر من جمال باشا تحسبا لان طارئ وقد اشتهر هذا القائد بقيادته العسكرية الجيدة، الامر الذي تد يعرض الثورة الى الخطر.

د –رغبة الشريف حسين وقادة الثورة الاخرين في استثمار السخط الذي عم الشعب العربي على العثمانيين ومجازرهم ضد العرب بالشكل الذي يخدم أهداف، الثورة العربية وتطلعاتها المشرعة.

أحرزت العمليات العسكرية للثورة العربية ضد القطعات العثمانية في مدن شبه الجزيرة العربية خاصة مكة المكرمة وجدة نجاحاً منقطع النظير الامر الذي أربك أوضاع القوات العثمانية تماماً، وغنم الثوار قطعا كثيرة من أسلحة الجيش العثماني فضلا عما كبدوهم من خسائر في الارواح والأموال ناهيك عن الاسرى. وأصبحت المدن الرئيسة في الحجاز بيد الشريف حسين ما عدا المدينة المنور.

رداً على الثورة العربية وتولي الشريف حسين قيادتها العليا اصدرت حكومة الاتحادين التي كان يسيطر عليها (أنور باشا، وطلعت باشا، وجمال باشا إمرها بعزل الشريف حسين وتعيين الشريف علي. حيدر أميراً على مكة المكرمة، بدلاً منه، وكان هذا موالياً للاتحادين

إلا إنّه فشل في الوصول الى مكة المكرمة وأن كان قد وصل الى المدينة المنورة محتمياً بالقوات العثمانية فيها والتي تسلمت امراً من جمال باشا بالزحف على مكة المكرمة لإخماد الثورة، لكن الثوار أحرزوا بعض الانتصارات. فبعد أن حرروا جدة في ١٦ حزيران ١٩١٦م حرروا ينبع ورابغ في ١٧ تموز ١٩١٦م ثم مدناً أخرى في منتصف آب ١٩١٦م وفي أيلول حرروا الطائف وبعد مضي ثلاثة أشهر على إعلان الثورة أصبح الموقف في الحجاز كما يلي:

١ –بلغ عدد الاسرى العثمانيين ستة آلاف من مختلف الرتب مع أسلحة وعتاد لفرقة عسكرية.

٢ –قطعت المواصلات بين القوات العثمانية الرئيسة في سوريا وبين الفرق العثمانية الثلاث المرابطة في عسير واليمن، الامر الذي أدى الى ايقان التقدم العثماني الالماني في المركز الجنوبي الغربي من شبه الجزيرة العربية، وجنب عدن مفاجأة الاستيلاء العثماني عليها.

٣ –حالت الثورة دون امتداد الاضطرابات في وجه كتلة الوفاق في أفريقيا.

٤ –نجحت الثورة العربية في اعتبار الدولة العثمانية على حجز جزء من قواتها في شبه الجزيرة العربية بعيداً عن جبهات القتال الرئيسة ولا سيما الجبهة الروسية.

لقد تعزز موقف الثورة بقدوم بضع مشات من الجنود العرب النظاميين من معسكرات الأسر البريطانية في متر والهند متطوعين للقتال في سبيل تحرير أرضهم العربية وقد بدأ وصول هؤلاء الجنود ومعهم عدد من الضباط بعد إعلان الثورة. فضلاً عن ترك عدد غير قليل من الضباط والجنود العمل في صنوف القوات العثمانية والتحاقهم بقوات الثورة يدفعهم الى ذلك العامل المتأجج في صدورهم التواقة للتحرر.

وفي أيلول ١٩١٦م وصل الى الحجاز عزيز علي المصري عينه الشريف حسين رئيساً لأركان حرب جيش الثورة، وبعد إعلان قيام الدولة العربية في الحجاز في تشرين الثاني ١٩١٦م عين وزيراً للحربية، وكان يعاون عزيز على عدد من الضباط العرب أكثرهم من العراق وهكذا جسدت الثورة التلاحم في العمل من اجل تحرير الأمة العربية ووحدتها.

استمر زحف الثورة على المعاقل العثمانية في الحجاز تسقطت العقبة في تموز ١٩١٧م ودرعاً في أيلول ١٩١٨م ثم دمشق في ١ تشرين الأول ١٩١٨م. ولم تسقط المدينة الثورة تماماً. ولم تسلم حاميتها للثوار العرب إلا في ٧ كانون الثاني ١٩١٩م.

لم تحقق الثورة أهدافها بعد أن خانها الانجليز. إلا أن انفجارها كان ذا أثر كبير في أوساط الشعب العربي، خاصة اتها انطلقت في وقت كان فيه السخط على الحكام الأتراك عاما شاملاً بسبب قسوتهم ومطاردتهم لقادة حركة التحرر العربية الذين كانوا ينادون بالحرية والوحدة لامة العرب، وكان للشبان العرب المثقفين وخاصة من أعضاء الجمعيات العربية القومية دور كبير في ذلك لا كانوا يبثونه من الدعوة الى تأييدها والالتحاق بها وبث أخبارها بين الناس والوقوف ضد الدعاية العثمانية المضادة لها. أن التأييد الكبير للثورة ينفي وقوف بعض العرب ضدها لارتباطاتهم المسلية مع العثمانيين كما اتخذ البعض الاخر موقف المتفرج لعدم تبلور الفكرة القومية عنده، فضلا عن أن البعض الثالث سيطرت عليه فكرة الوحدة الاسلامية الدينية بدلا من الوحدة العربية القومية.

أما أبرز نتائج الثورة العربية فهي:

١ -أيقظت الشعور العربي بشكل فعال ومؤثر فدفعت العرب الى العمل لبناء تراثهم الحضاري الذي انحسر بسقوط الدولة العربية الاسلامية على ايدي المفعول في سنة ١٢٥٨م. حين تفتت تلك الوحدة، وظهرت على انقاضها كيانات سياسية منفصلة.

٢ -أبرزت القضية العربية الى حيز الوجود في ميدان السياسة الدولية وانتزعت اعتراف الدول الكبرى بها.

٣ -جاء تكريس شرعية المطالب العربية بناءً عمليا للتوجه العربي بعد أن كان حديثا في المجالس والاندية السرية. نتقد تبلور هذا التوجه كعتيدة حية متطورة تتفاعل مع الاحداث لتكتسب الخبرة والقوة والدعم والاحتضان.

٦ – احتلال البريطانيين للعراق وفلسطين وفرضهم الحماية على مصر:

أ- احتلال العراق:

استعرضنا الاطماع الاستعمارية البريطانية في العراق ويرجع ذلك الى عوامل ستراتيجية اقتصادية ولم يتيسر للبريطانيين فرض السيطرة المباشرة على العراق إلا بعد اندلاع الحرب العالمية الأولى حيث وضعت بريطانيا خططها الخاصة باحتلال العراق موضع التنفيذ خاصة بعد دخول الدولة العثمانية–التي كان العراق تحت سيطرتها آنذاك الحرب الى جانب ألمانيا فدخلت القوات البريطانية الفاو في ٦ تشرين الثاني ١٩١٤م وأكملت احتلال البصرة في هذا الشهر. ثم اتجهت القوات البريطانية نحو بغداد بخطين أحدهما يحاذي نهر الفرات. والآخر يحاذي نهر دجلة، إلا أن هذه القوات سرعان ما انتكست انتكاسة مريعة في مدينة الكوت، إذ حوصر **(الجنرال طاوزند)** مع قوات البالغ تعدادها (١١٣٠٩) لمدة خمسة أشهر من قبل الجيش العثماني حتى اضطر الى الاستسلام في نيسان ١٩١٦م. إلا أن هذه الانتكاسة لم تحل دون أعطاء القيادة الى قائد بريطاني آخر هو **(الجنرال ستانلي مود)** الذي نجح في احتلال بغداد في ١١ آذار ١٩١٧م وأصدر في ١٩ منه بياناً الى الشعب العراقي جسد فيه الرياء البريطاني، ومما جاء في هذا البيان **(أننا لم ندخل مدنكم وأراضيكم كمغامرين أو أعداء، بل محررين)**، ثم تقدمت القوات البريطانية بعد ذلك الى ولاية الموصل فدخلتها في تشرين الثاني ١٩١٨م، وبذلك أتم البريطانيون. احتلال العراق بأكمله، وقد قدرت خسائر بريطانيا في حروب العراق بمائة الف بين قتيل وجريح، حسب تصريح لويد جورج رئيس وزرائها، أما خسائرها المالية نقد قدرت بمئات الملايين من الجنيهات الاسترلينية.